Mohammed Seddik Maâninou.- *Ayyām Zamān,* I: *Mawkib as-sultān* (Rabat: Bouregreg éditions, 2014), 316p; II: *Al-fatḥ al-mubīn* (2015), 312p; III: *Maʿrakat al-wujūd* (2016), 340p; IV: *Assanawāt al-ʿijāf* (2017), 319p; V: *Khadīm al-malik* (2018), 329p. VI: *Al-Khaṣm wa aṣ-Ṣadiq* (Rabat: Bouregreg éditions, 2019), 326p.

محمد الصدِّيق معنينو-. أيام زمان، ج.1: موكب السلطان (الرباط: دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2014)، 316ص؛ ج.2: الفتح المبين، 2015، 312ص؛ ج.3: معركة الوجود، 2016، 340ص؛ ج.4: السنوات العجاف، 2017، 319ص؛ ج.5: خديم الملك، 2018، 329ص؛ ج. 6: الخصم والصديق (الرباط: دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2019)، 326ص.

أتحفنا الصحفي المخضرم محمد الصدِّيق معنينو بنشر مذكرات مطولة اختار لها عنوانا كبيرا هو: **أيام زمان**، وعناوين أخرى خص بها كل جزء من الكتاب على حدة صدر منها حتى الآن ست مصنفات منذ عام 2014، إلى سنة 2019، بمعدل إصدار واحد في السنة، فجاءت عناوينها تباعا كالآتي: **موكب السلطان، الفتح المبين، معركة الوجود، السنوات العجاف، خديم الملك**، وفي بحر هذه السنة صدر الجزء السادس بعنوان **الخصم والصديق** خصصه صاحب المذكرات لتسليط الضوء على السنوات الأخيرة من حياة الحسن الثاني. وامتدت الأجزاء الخمسة على ما يقارب مجموعه ألفي صفحة. واختار الصدِّيق معنينو في عمله هذا تصنيف الوقائع حسب العقد أو نصفه بناء على كثافة الأحداث. ويؤكد الكاتب منذ البداية أنه صحافي وليس مؤرخا، يكتب لذاته من خلال ما عاشه من أحداث ووقائع في مسيرته المهنية، معترفا وبكل تواضع بصعوبة ضبط التواريخ والأسماء والمواقع.كما طرح منذ الوهلة الأولى صعوبة تصنيف هذا التأليف الذي اعتبره على حد قوله: "مزيجا من الذكريات والمذكرات والشهادات، هو صورة عن فترة تاريخية، عشتها من زاويتي الخاصة، وأكتب عنها بكثير من الحذر والانتباه" (ج.1/17).

كانت ذاكرة معنينو هي النبع الذي استقى منه مادة سلسلته **أيام زمان**، لكنه عمد إلى تعزيزها بما احتفظ به في ملفه الإداري من وثائق وشهادات وقصاصات الجرائد وصور، وبما حبَّره قلمه من معلومات وحقائق، إذ ظل حاضرا لعقود طويلة في قلب الحدث الإعلامي والسياسي بالمغرب، قريبا جدا من مراكز القرار، إما مقترحا أو منفذا وقريبا من الحدث الذي عاصره. كما استعان من حين إلى آخر بمؤلفات عديدة للاستشهاد بآراء مؤلفيها، من قبيل عبد الكريم غلاب، ومحمد العربي المساري، وفاطمة أوفقير، ومحمد اليازغي، وغيرهم.

غير أنه كثيرا ما تواترت، وربما عن غير قصد، بعض الاضطرابات الزمنية، فتكررت المعطيات ذاتها أكثر من مرة، وربما مرد ذلك باعتراف الكاتب نفسه، إلى: "غياب طقوس معينة للكتابة، أجلس خلالها لأواجه الأوراق والأقلام، فقد كنت أتذكر قصة أو حدثا أو واقعة، أتوقف وأسجل موضوعها وبعض عناصرها، ثم أعمل على ضبط تاريخها وملابساتها، مدققا في لائحة المشاركين بأسمائهم وخلفياتهم وأدوارهم" (ج.4/9). غير أن معنينو الصحفي المحترف قد أفادته خبرته في التصوير التلفزي فرصد المشاهد بدقة، وانزوى للكتابة كما لو أنه يحرك كاميرات عديدة، مما جعل الأحداث أو الفاعلين في الواقعة يظهرون في هذه المذكرات المستفيضة من زوايا مختلفة.

يتكون الجزء الأول (**موكب السلطان**) من أربعة فصول شملت 316 صفحة، خصصها الكاتب لاسترجاع أيام الصبا، فاهتم بالوقوف على ذكريات طفولته بتفاصيلها كاملة كما قضاها في كنف والده الحاج أحمد معنينو، أحد أبرز الوجوه الوطنية في المغرب المعاصر، وأحد مؤسسي حزب الشورى والاستقلال. وأسهب الابن في الحديث عن منفى والده الاضطراري في شمال المغرب، وعن أهم أنشطته في أوساط المجتمع الطنجوي، قبل العودة إلى سلا سنة 1946. ثم تناول ظروف اعتقال والده سنة 1953 وسجنه لمدة سنة ونصف عقابا له على أنشطته الوطنية، فشكلت بذلك لحظة فارقة في مسار الابن البكر محمد الصدِّيق، وأسهمت كثيرا في صقل شخصيته. وعرج المؤلف بعد ذلك على مرحلة التكوين بين أحضان "منظمة الكشفية المغربية الإسلامية،" تلك الفترة التي زامنت استعادة المغرب للاستقلال. وقد قدم صورة بالغة الأهمية لتحديات اللحظة وما رافقها من مؤامرات وصدامات، مستندا في ذلك على مصاحبته للوالد في مختلف أنشطته، بما فيها تلك التي كانت تجري داخل القصر، إلى درجة أن مولاي أحمد العلوي عاتب معنينو الأب على ذلك صراحة يوم 18 نونبر

1956، إذ حضر في احتفالات عيد العرش مرفوقا بنجله، فقال له: "هاذي ماشي حفلة ديال الدراري أ الفقيه" (ج.1 / 115).

وتوقف الصدِّيق معنينو أيضا عند محطاته التعليمية بثانوية مولاي يوسف بعد إتمامه دراسته الابتدائية بسلا، قبل الالتحاق بكلية الحقوق حيث التقى فيها مع رفيقة دربه. وهي المرحلة التي بدأ يحتك فيها بالعمل الصحفي؛ كنشاط مهني ثان بعد التحاقه بسلك التدريس، وقبل انتقاله للاشتغال رسميا بدار التلفزة المغربية ابتداء من فاتح يناير 1969. واستحضر المؤلف ما علق بذهنه من ذكريات وصور مثيرة توثق لحقبة الظهور الأول للتلفزيون المغربي إبان ستينيات وسبعينيات القرن الماضي. وهي بداية نعتها معنينو بالارتجال المخيف والفوضى العارمة، إذ اشتغلت تلك المؤسسة دون أي مصادر لاستقاء الأخبار ودون مراسلين، معتمدة في موادها على ما يصلها من الإذاعة. هذا مع العلم أن العاهل الحسن الثاني اهتم بها كسلاح سياسي شديد القوة والتأثير، وهو ما أكدته ردود فعله العنيفة التي رافقت مرور صور للمعارضين على غرار ما وقع مع حادثة ظهور عبد الرحمان اليوسفي في نشرة الأخبار، ولو في لقطة سريعة وغير واضحة. وفي الفصل الأخير من **موكب السلطان**، تحدث الصدِّيق معنينو عن مغامراته أثناء المحاولتين الانقلابيتين الفاشلتين سنتي 1971 و 1972، فنبه إلى أن الإعداد لهما قد تداولته الألسن، بالإشارة إلى هذا الضابط أو ذاك باعتباره العقل المدبر المحتمل. وعلى الرغم من كل الإشارات والرسائل التحذيرية التي وصلت إلى الملك الحسن الثاني في هذا الشأن، لم يتخذ أية مبادرة، فاستسلم استسلاما غير مُبَرَّرٍ يتعذر فهم ألغازه، إذ وضعته الأقدار في قبضة الانقلابيين، ودخل في دوامة يصعب وصفها من المشاكل والأزمات الكثيرة. وأفصحت خاتمة هذا الجزء الأول عن تساؤلات وجيهة من منطلق تعدد نقط الظل بخصوص المحاولتين الانقلابيتين.

أما الجزء الثاني (**الفتح المبين**) الذي جاء في أربعة فصول تكونت من 312 صفحة، فقد أتى فيها الكاتب على سرد تفاصيل دقيقة عن أجواء المسيرة الخضراء، وما صاحبها من استعدادات ومخاوف في الوقت ذاته. وفي هذا الصدد، حاول الصدِّيق معنينو الإحاطة بما كان يدور في خلد الملك الحسن الثاني من قضايا وموضوعات قبل الحسم في خيار المسيرة الخضراء، وفي التخطيط للكيفية التي خولت له النجاح في مشروعه التحرري. وتواترت خيوط الكاتب السردية متنقلة في الحديث بين الماقبل والمابعد من القرار الحاسم الذي

اتخذه الملك الحسن الثاني لاسترجاع الصحراء المغربية، بدءا بالاحتكام إلى محكمة العدل الدولية، وانتهاء بالإعلان عن تنظيم المسيرة الخضراء.

وكانت البداية مع سنة 1973 التي اعتبرها المؤلف سنة المفاجآت، وفي مقدمتها الإعلان عن "ميلاد البوليساريو،" وما ترتب عنه من تحديات تخصُّ ظروف المغرب السياسية ومواقف الملك الحسن الثاني الشجاعة في تدبيرها واحتواءها. في حين، شكلت سنة 1974 ما أسماه بـ "سنة المناورات،" بعد أن أصبح ملف الصحراء الهاجس المؤرق لمضجع الحسن الثاني، والملف الذي وحد الأحزاب السياسية، على الرغم مما عرفته الساحة السياسية وقتئذ من اضطرابات وتصدعات. وفي الأخير، جاء الحسم في سنة 1975، التي تنقل خلالها رجل الإعلام معنينو بين عواصم عربية وغربية عديدة، فضلا عن تغطيته التلفزية لزيارة الملك الحسن الثاني لليبيا بمناسبة احتفالها بعيد الثورة.

كان الصحفي السلاوي شاهدا بحكم حضوره القار على كل الأحداث التي سجلها قلمه بدقة، فعبر في هذا السياق عن إعجابه بما تحلى به المتطوعون والمتطوعات في المسيرة الخضراء من انضباط ونظام، تطبيقا بذلك لتوجيهات الملك الصارمة. واعتبر معنينو أن ذلك النهج قد أسهم كخطة مدروسة وواعية في تحقيق النصر الذي أفرح المغاربة، قبل أن يفاجئ الحسن الثاني الجميع بالخطاب الذي ألقاه يوم 9 نونبر، فأمر فيه بعودة المشاركين والمشاركات في المسيرة إلى مناطق سكناهم، بعد أن أكدت الحكومة الإسبانية فتح باب الحوار مع المغرب، شريطة انسحاب المتطوعين من الإقليم الصحراوي. كما توقف المؤلف عند المراحل الأخرى التي شهدت فتح باب الحوار مع مدريد باعتبارها الطرف المغتصب الأساسي للأرض، دون أن يغفل عما دأبت الإذاعة والتلفزة الجزائريتين على بثه من أقوال لترهيب المغاربة من خطر الزحف العسكري الإسباني، في وقت بدا فيه الاطمئنان واضحا على عزائم المشاركين في المسيرة دون إعارتهم تلكم المعلومات الخاطئة أي اهتمام.

واستحضر الصدِّيق معنينو في الجزء الثالث من مذكراته (**معركة الوجود**) سنوات العراك كما عاشها الجنود المغاربة بين مدّ وجزر في المواجهة العسكرية مع عصابات البوليساريو (1975-1981)، وتابع من خلال ستة فصول جاءت في 340 صفحة، سرد روايات تناولت فترة حرجة من تاريخ المغرب امتدت لسنوات، فلخص ظروفها الصعبة دون إخفاء مدى إعجابه بالتحديات التي أعلن عنها الملك الحسن الثاني في دفاعه عن مغربية الصحراء. هذا الجزء اعتبره الصدِّيق معنينو الأهم ضمن هذه السلسلة بقوله:

"لعل من أعز ما كتبته في مذكراتي، هو ما تضمنه الجزء الثالث تحت عنوان: "**معركة الوجود**،... ذلك أنني، في هذا الجزء، تناولت الكثير من الصعوبات التي واجهتها بلادنا مباشرة بعد استرجاعنا لأقاليم الجنوب الصحراوية"(ج.5/3).

لقد كان الوضع السياسي المغربي خلال السنوات موضوع الحكي ملتهبا نتيجة سلسلة من الهجمات المتعاقبة على الأراضي الصحراوية المغربية مثل بوجدور، وأمگالا، والمحبس والزاگ، بل وحتى على مناطق أخرى مثل طنطان وطرفاية، فصارت تلك الحالة مبعث قلق وحذر واستماتة ودفاع في الآن نفسه. ولاسيما في وقت ساد فيه الجهل البيّن بأحوال المجال الصحراوي، سواء من الناحية التاريخية والجغرافية، أو الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

لقد كانت بحق فترات صعبة وبكل معاني الكلمة عاشها المغاربة في مواجهة مع شباب مغاربة اعتبروا بأنهم قد خانوا وطنا تربوا بين أحضانه وتعلَّموا في مدارسه وجامعاته، ويدعمهم البلد الجار الذي كان له المغرب معينا وسندا أيام المحن والأزمات، وجمعته معه علاقات تاريخية قوية، بل إن عددا من الجزائريين تحملوا المسؤولية داخل البلاط المغربي (المقري، المعمري، بن غبريط، الخطيب، بن منصور...)، كما تعددت الأسر الجزائرية التي استقرت بالمغرب واضطلعت بأدوار هامة (عائلة الشريف، غزال، نكروف، المشرفي، التلمساني...). وهذا قبل أن يعمد الرئيس الجزائري الهواري بومدين إلى تقويض دعائم هذا "الحلف الرباني،" فأقدم على طرد المغاربة المقيمين في الجزائر، في ظروف لا إنسانية "مدمرا حلما رائعا، وإرثا حضاريا، ومعلمة للتعايش وثقافة نموذجية للتقارب والتآخي بين الشعوب" (ج.38/3).

ويكشف معنينو النقاب عن أجواء تغطياته الصحفية العديدة، بعد أن أسندت له رئاسة مصلحة الرُّوبُّورتاج خارج الوطن في مؤتمرات أو ندوات عربية أو إفريقية تصب محاورها في القضية الوطنية الأولى "مغربية الصحراء،" كما تحدث بإسهاب دقيق عن تقاريره الصحفية من قلب الأراضي الصحراوية، مثل العيون، والداخلة، وبوجدور، معززا ذلك التوصيف بصور احتفظت بها خزانته لتوظيفها عند الحاجة. كما يطلعنا على الظروف الصعبة التي عاشها عند الاضطلاع بمهمته الصحفية، معربا عن إعجابه بالجنود المغاربة المستميتين في الدفاع عن أراضيهم ووطنهم أمام محاولات اختراق عصابات "البوليساريو" لحرمة كثير من المناطق الصحراوية وغيرها بإيعاز من دولتين

جارتين هما الجزائر وموريطانيا، وبحديثه بمرارة عما ترتب عن ذلك الفعل من خسائر في الأرواح والعتاد، إذ كان الوضع متأزما والظرف في غاية الدقة.

وفي السياق ذاته، يتحسر الكاتب على التحديات الناجمة عن إخفاء المعلومة التي بلغت حد إقفال الأبواب أمام وسائل الإعلام، فكان لابد من الاستنجاد بما أسماه "الكلام الأبيض،" أو "التَّزلاج،" أي الكلام النمطي الذي لا يتضمن معلومة حقيقية لتيسير مرور المادة الإخبارية. وهو ما أسهم إلى حد بعيد في خسران المعركة الإعلامية أمام الجزائر حيث يقول: "كنا نبحث عن المعلومة للرد على ما كنا نعتبره ادعاءات عدوانية ضد بلادنا... لكننا كنا نصدم بالأبواب المغلقة... فلا أحد رأى ولا أحد سمع،" (ج.3/251).

وبالمقابل يطلعنا عن ظروف عمله العسيرة عند محاولة تنفيذ أوامر وزير الإعلام وتعليماته كلما ضاقت السبل أو تأزمت الأوضاع أثناء انعقاد المؤتمرات الإفريقية، وخاصة منها مؤتمري "نيروبي" الأول والثاني. وقد حكى لنا كيف عاش مغامرات صحفية حين حاول جادا، الحصول على نص خطاب الملك المرتجل في "نيروبي،" وكيف حالفه التوفيق في التسلل مع المصور والتقنيين إلى قاعة المؤتمر ليحصل على شريط الخطاب الملكي المرتجل من قاعة المؤتمرات، إذ كانت الجلسة المنعقدة سرية ومغلقة، مما حال دون تمكن الوفد الصحفي من حضورها.

وكشفت هذه الملتقيات بوضوح عن ممارسات الأشقاء الجزائريين والليبين، ممن سخروا إمكاناتهم المادية لتأليب الأفارقة على المغرب. هذا في وقت أمعنت فيه الديبلوماسية المغربية في ممارسة رياضة "إخفاء الوجه أمام الكماشات." غير أن صلابة الملك الحسن الثاني وقيادته القوية القائمة على التحدي، على الرغم من ملابسات الظروف غير الآمنة وغير المطمئنة، سواء في الداخل أو في الخارج، إذ كانت كلماته الارتجالية، ينقل معنينو، "أقوى من خطاب الدبلوماسية المغربية المصابة بالرتابة والضعف والدفاع المضطرب عوض الهجوم القوي،" (ج.3/160).

وحمل الجزء الرابع عنوان: **(السنوات العجاف)**، فاستُعرِضت عبر فصوله الستة وفي 319 صفحة، تفاصيل كثيرة بخصوص وقائع الفترة الممتدة ما بين 1980 و1990. ويصرح الكاتب منذ البداية بأن المملكة قد واجهت خلال هذه العشرية سلسلة من المشاكل والمشاق، أثرت على مسار البلاد، إذ التطمت بعواصف هوجاء متتابعة،

وأبحرت وسط أمواج عاتية، في اتجاه مصير غير واضح الأفق. وذلك اعتبارًا لتراكمات السنة الماضية وتداعيات أحداثها على الحياة الوطنية، وانعكاساتها أيضا على المستوى المعيشي والحقوقي.

وزاد من تعميق هذه المصاعب انتشار موجة من الجفاف، أمام غياب متواصل للتساقطات المطرية، مما زاد في الرفع من درجات الاحتقان، في المدن والبوادي على حد سواء، وأفضى حتما إلى تكريس الأزمة الاقتصادية، وفتح الباب أمام تدخلات صندوق النقد الدولي. وما لبثت أن اندلعت في إثرها اضطرابات اجتماعية، كان لابد من تأطيرها سياسيًا، مما جعل الشعارات التي رفعها المتظاهرون ورددوها دون خشية، تنزلق من إدانة لارتفاع الأسعار إلى إدانة للنظام الحاكم برمته.

وتزامن ذلك مع ارتفاع وتيرة هجوم القوات الجزائرية والانفصالية، خاصة بعد قبول انضمام "الجمهورية الوهمية" إلى المنظمة الإفريقية، في خرق واضح لميثاقها. إلا أن فطنة الحسن الثاني، مرة أخرى، كانت حاضرة، من خلال تبنيه استراتيجية عسكرية وضعت حدا للتسربات المفاجئة والعنيفة لجبهة البوليساريو الانفصالية المدعومة من الجزائر، وأيضا عبر بناء الجدران الأمنية في أراضي الصحراء. ومن جهة أخرى، توفق الملك في توقيع اتفاقية وجدة، قرب الحدود مع الجزائر، التي فاجأت الجميع، بما في ذلك الولايات المتحدة، وهي اتفاقية مغربية ليبية، استهدف منها حياد العقيد معمر القذافي في حرب الصحراء.

وتلاحقت في هذا الظرف سلسلة مما أسماه الكاتب بـ:"القنابل الإعلامية،" التي شغلت الرأي الوطني العام، وأثارت انتباه الصحافة العالمية؛ ومن بينها لقاءات الحسن الثاني مع الرئيس الجزائري، وإعادة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، وتبادل أسرى الحرب. غير أن هذه "القنابل الإعلامية،" كما وصفها الكاتب الصحفي معنينو، قد تمثلت أيضا في عودة عائلة أوفقير إلى الواجهة، واستقبال العاهل المغربي للوزير الأول الإسرائيلي شمعون بيريز بمدينة إيفران، وإلغاء معاهدة الوحدة بين المغرب وليبيا، ودعوة ملك المغرب إلى "مقاطعة" الفلسطينيين، عقب استقبالهم في مؤتمرهم المنعقد في الجزائر لممثلي جبهة البوليساريو.

ومن منجزات هذه المرحلة أيضا، زيارة الملك الرسمية للولايات المتحدة الأمريكية، وتوطيده لعلاقاته مع أصحاب القرار في دهاليز "البانطاگون،" ووزارة الخارجية،

و"الكونگرس." ثم زيارته لمدينة العيون، كبرى حواضر الصحراء المغربية، التي علق عليها معنينو قائلا: "كان وجود ملك المغرب في العيون، التي دخلها وسط مهرجان شعبي كبير، إعلانًا صريحًا عن التحدي، وتكذيبًا لكل الدعايات التي كانت تروّج لها الجزائر، وتأكيدًا على مغربية الصحراء،" (ج.4/189).

وتميزت محتويات هذا الجزء أيضا بحرص الكاتب على نقل انطباعات مثيرة عقب جولاته بأراضي الجنوب الشرقي، فشخص من خلالها واقع الحال بمغرب الهامش. وفي هذا الصدد، سجل الكاتب ابن سلا الحاضرة العريقة ارتساماته عمَّا وصفه بـ"صدمة حقيقية اكتشفت خلالها مغربا جديدا، لم أكن أتصور بأنه بهذا الاختلاف المثير. أما "قلعة مگونة،" فكانت تعيش عصرا آخر... بدون ماء ولا كهرباء... بدون مستشفى ولا مركز بريد... كان القائد يتحكم في مولد الكهرباء والفقيه يحدد ما يمكن مشاهدته،" (ج.4/145).

لقد شهد القطاع الإعلامي تحولا مثيرا بعد إسناد مهمة إدارته إلى إدريس البصري وزير الداخلية، مما فاجأ الجميع بمن فيهم معنينو، الذي لم يعلم مسبقا بالخبر على الرغم من أنه كان يشغل منصب مدير للإعلام. ولأهمية هذه الشخصية الفريدة، أفرد لها الكاتب الجزء الخامس من سلسلته تحت عنوان: **خديم الملك**، ويتكون من خمسة فصول جاءت في 329 صفحة. وتميز هذا الجزء بتناوله للتغيرات العميقة التي شهدتها الفترة الممتدة ما بين 1990 و1995 على المستويات السياسية والهيكلية والتنظيمية. وقد سلط الأضواء على أحداث كثيرة اتسمت بتأثيرها الإيجابي على الحياة الوطنية، ومنها وقف إطلاق النار بالصحراء، بعد حرب طاحنة حاولت خلالها الجزائر كسر شوكة المغرب. بيد أن استراتيجية ما أسماه معينيو "الجدران الربانية" كانت ناجعة وضمنت تفوق المغرب. كما سجلت هذه المرحلة الإقدام على تعديل دستوري سنة 1992، رافقته تغييرات حكومية كثيرة قبل استقرار الأمر بوصول عبد اللطيف الفيلالي إلى الوزارة الأولى التي أمسك بزمامها إلى حين تعيين المعارض السابق عبد الرحمان اليوسفي على رأسها.

وموازاة مع ذلك، اتسمت بداية العقد الأخير من القرن العشرين، بحدوث تغيير عميق في السياسة الحقوقية، إذ أسس الحسن الثاني "المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان،" وصادق على جميع توصياته، فتم بذلك تغيير عدة قوانين، وإغلاق السجون غير النظامية، وفي مقدمتها معتقل تازمامارت، كما تحقق إطلاق سراح عدد من السجناء

السياسيين والمعتقلين والمختطفين، وبالتالي ساد المغرب جو من الارتياح، مهد الطريق أمام التناوب على السلطة.

لكن في هذه الفترة أيضا، أصبح مرض الملك الحسن الثاني أمرا موثوقا، مما أثر كثيرا على تحركاته، بيد أنه واصل العمل على تنقية الأجواء السياسية. وفي هذا السياق، تم تعيين إدريس البصري وزيرا للإعلام إلى جانب تقليده مهام وزارة الداخلية. ويبدو أن حضور البصري كان مؤثرا للغاية في الحياة السياسية خلال العقود الأخيرة من القرن الماضي، وكما ذكره معنينو، أنه "يأخذ من تصرفات الملك ما يفيد المعنى ويطبقه بحذافيره... كان يدير شؤون الوزارة، وملفاتها العديدة، عبر سياسة التوتر والسرعة،" (ج.5/238). ويواصل الكاتب حديثه مؤكدا أن وزير الداخلية قد كان "رجل حركة، قوي الذاكرة، في عروقه دم يغلي باستمرار، وكان دائم التوتر، وقد انعكس ذلك في نهاية المطاف على صحته وأدائه، وكان على اقتناع بأن عمله ضروري وأساسي لتدبير شؤون البلاد،" (ج.5/240)

بدأ البصري حياته شرطيا متواضعا، ثم ارتقى عاليا بفضل مؤهلاته المهنية، فضلا عن "حظٍّ رافقه طيلة حياته،" فغلب عليه الهاجس الأمني. ويواصل معنينو رسم ملامح البصري، بوصفه "رجل سياسة ودهاء ومكر... استطاع أن يؤسس انطباعا لدى الرأي العام، مفاده بأنه عندما يتولى البصري معالجة إحدى الملفات، كانت المشاكل تجد الحلول،" (ج.5/241). وعلى الرغم من حضور البصري القوي في مختلف وسائل الإعلام، وتحمله لحقيبة الإعلام، فقد كانت لغته ضعيفة، وفق ما جاء في الكتاب، لأنه "لا يحسن الخطابة باللغة العربية، ولا يتقن اللغة الفرنسية،" (ج.5/242). ويشير الكاتب، إلى أن من بين مهامه الدائمة استحواذه التام على ملف الصحراء، وهي مهمة كثيرا ما رأى فيها مصدرا للافتخار والتباهي. ويخلص معينينو في حديثه عن البصري، إلى أن الرجل قد ترك بصمات واضحة أثرت بقوة على الحياة السياسية والاجتماعية والتواصلية، جعلت منه بحق أحد المسؤولين المباشرين عن التجاوزات التي طبعت مسيرة المغرب في سنوات الجفاء.

أما الجزء السادس والأخير من سلسلة هذه المذكرات، فقد اختار له الكاتب الصحفي الصدِّيق معنينو العنوان التالي: **الخصم والصديق**، ويقع في 326 صفحة، نقتبس من مقدمته ما يلي:

"في هذا الجزء تناولتُ السنوات الخمس الأخيرة من حياة الحسن الثاني، وما عاناه الرجل، وما استطاع أن يحققه من أجل سلاسة مرور الحكم حفاظا على "رأسمال وطني" تجتمع حوله الآراء والأحلام والمتطلبات... ذلک أنه خلال السنوات الأخيرة، من القرن الماضي، عمّت موجة من التفاؤل والترقب، في انتظار مصالحة وطنية، تجمع ما كان متناثرا، وتوحد ما كان متباعدا، وتجعل البلاد مهيئة لضمان الهدوء والاستمرار."

وختاما، فقد أطلعنا معنينو في سلسته هاته، التي اختار فيها امتطاء صهوة التاريخ بطريقته الخاصة والمشوبة بالحذر، على أحداث شيقة ومعلومات مهمة سيكون لها الأثر الأكيد والبالغ في تأويل ومحاولة فهم عديد من قضايا الراهن المغربي، ولو أنه في كثير من المحطات الحارقة قد اختار القفز بذكاء فوق القضايا أو الوقائع التي تكثر فيها التأويلات وتتعدد في شأنها وجهات النظر، مستندا في ذلک إلى تقنية طرح السؤال لينجو من فخاخ ذاكرة السلطة ويمنح بذلک وبحق حرية أكبر لسلطة الذاكرة.

إبراهيم أيت إزي
باحث في التاريخ، مراكش